خطبة صلاة الجمعة 28/3/2014 للشَّيخ الطّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

## (أخطاء شائعة– الصمت بين الأزواج)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، هدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد:

فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير:

قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:286].

وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران:135].

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى الله عليه وسلَّم قال: «**إِنَّ العَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ سُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ، وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ:** ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين:14]» [رواه الترمذي].

هذه هي الخطبة الثَّامنة في سلسلة: (أخطاء شائعة).

هدف السِّلسلة: السَّعي لتصحيح ما استطعنا من هذه الأخطاء، فإنَّ الله تعالى لا يُهلك قريةً أهلها متناصحون مصلحون: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: 117].

تتناول السِّلسلة خطأً في العلاقات الأسريَّة مرَّةً, وشعارها: (أسرتي سكني ومسؤوليتي).

وخطأً في معاملاتنا الماليَّة مرَّةً أخرى، وشعارها: (أسواقنا مرآة ديننا).

وخطبة اليوم من النَّوع الأوَّل عنوانها:

## (الصمت بين الأزواج)

- زوجي حَسَن السِّيرة حميد الطِّباع؛ لكنَّه صامتٌ في البيت ساكتٌ، يقتلني بصمته، تقول إحدى السَّيدات.
- وتقول أخرى: سافرت مع زوجي بسيارته أربع ساعاتٍ أو خمساً، وأُقْسم أنَّه لم يتكلَّم بكلمةٍ ولم ينطق ببنت شفة.
- وتشتكي ثالثةٌ: أشكو صمت زوجي المطبق إذا دخل البيت، وأُعجب لصمته أمامي ولقدرته على الكلام إذا اتصل به صديقٌ أو قريبٌ، أسمعه يشاطره الحديث ويبادله الكلام، وتزلزلني ضحكاته العالية معهم، بدأت أبحث عمَّن أبثُّه همومي وأبادله الحديث عبر وسائل الاتصال الحديثة...!

**أيها الإخوة:**

توضِّح الإحصاءات أنَّ تسعةً من بين كلِّ عشر سيِّدات يعانين من صمت الأزواج، كما جاء في مجلَّة (بونته) الألمانيَّة، وتشير الأرقام إلى أنَّ (79%) من حالات الانفصال تكون بسبب معاناة الزَّوجة من عدم تعبير الزَّوج عن عواطفه لها، ومن عدم وجود حوارٍ يربط بينهما.

وتكتب مرشدةٌ أسريَّةٌ في بحثٍ علميٍّ: صمت الزَّوج الدَّائم والمستمر وغموضه هو من أكثر الشَّكاوى التي تَرِد عليَّ من الزَّوجات في الجلسات العلاجيَّة.

يقتل الصَّمت المرأة وترَاه تعبيراً عن الاستغناء عنها من جهةٍ، وليست على مستوى الحديث والمفاهمة من جهةٍ أخرى.

وقد تبدأ المرأة الصَّمت ولكنَّها تبقى قلقةً لعدم مبادرة الزَّوج لفتح باب الحوار.

ثمَّ إنَّ للصَّمت أثره السَّلبي على الأطفال، فالطِّفل الذي ينشأ في أسرةٍ يغيب فيها التَّواصل الكلامي قد ينشأ انطوائياً يصعب عليه إقامة علاقاتٍ مع الآخرين.

ثمَّ أمرٌ خطيرٌ جداً يجب التَّنبه له، وهو لجوء كلا الزَّوجين إن دام بينهما الصَّمت إلى شخصٍ ثالثٍ خارج العلاقة الزوجيَّة لمناقشة همومه ومشكلاته.

يقول مستشارو العلاقات الأسريَّة:

إنَّ الاتصال النَّاجح –اللفظي وغير اللفظي– من أهم عوامل نجاح العلاقة الزوجيَّة، ومن أهم مشكلات الاتصال استخدام الصَّمت المتعمد، الأمر الذي يؤدِّي إلى تراكم مشاعر الغضب والعداء.

إن تبادل الحوار بين الزَّوجين يُعدُّ من أقصر الطُّرق إلى قلبي الزوجين، والكلمات البسيطة تُشْعِر الطَّرف الآخر بأنَّه موضع اهتمامٍ، وتمنع تسرُّب الملل إليه.

**أيها الإخوة:**

يعلِّمنا رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم الحديث إلى الزَّوجات، فتراه –صلوات ربِّي وسلامه عليه– يسرُّ إليهنَّ حديثاً مرَّةً ويحدِّثهن بما يحدِّث به النَّاس مرَّةً أُخرى، ويخصُّهنَّ بحديثه من دون النَّاس ثالثةً، ويشكو إليهنَّ ما يجده من النَّاس رابعةً، وهكذا تقرؤون في كُتب الحديث أحاديث ترويها زوجات النَّبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم، وربَّما لم يروِ بعضها عنه صلَّى الله عليه وسلَّم غيرهنَّ، وكأنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم خَصَّهُنَّ بالكلام من دون النَّاس، بل إنَّ علماء الحديث يذْكُرون أمَّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها في المكثرين من الصِّحابة في رواية الحديث عن النَّبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم.

وفي الصَّحيحين حديثٌ طويلٌ جداً، تخبر به أمُّ المؤمنين عائشة الصِّديقة رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم عن أمرٍ جرى في الجاهليَّة، فيَستمع إليها استماعاً فعَّالاً يغريها بمتابعة القول، إنَّه حديث أم زرع مطلعه: «**جَلَسَ إِحْدَى عَشْرَةَ امْرَأَةً فَتَعَاهَدْنَ وَتَعَاقَدْنَ أَنْ لَا يَكْتُمْنَ مِنْ أَخْبَارِ أَزْوَاجِهِنَّ شَيْئًا**» ثمَّ سردت أخبار النِّسوة، وقد ترجم له البخاري بقوله: (**بَاب حُسْنِ الْمُعَاشَرَةِ مَعَ الْأَهْلِ**).

كلُّ هذا –أيها الإخوة– دعمٌ للحوار بين الزَّوجين وكسرٌ لحاجز الصَّمت الرَّهيب.

غير أنِّي أُحِبُّ أن أُخْبِر الزَّوجات أمراً أَرْغَب أن يتَفَهَّمْنَه حتَّى لا يُفسِرنَ كلَّ صمتٍ للزَّوج تفسيراً سلبياً، كما أنِّي أطلب إلى الرِّجال أن يتنبَّهوا له ليعطوا زوجاتِهِم حقوقَهُنَّ.

قرَّر علماء النَّفس والسُّلوك اختلافاتٍ فطريَّةٍ بين الرَّجل والمرأة بالنِّسبة للكلام والصَّمت، منها:

- الرَّجل يُجمل في الكلام، والمرأة تُفصِّل.

- الرَّجل يختصر في الكلام، والمرأة تُسْهِب.
- الرَّجل راحته في عدم الكلام، والمرأة راحتها في الكلام.
- الرَّجل يميل للحديث عن عمله، والمرأة تميل للحديث عن نفسها وأسرتها.
- الرَّجل يُعَبِّر عن إعجابه بالنَّظر والإيحاء، والمرأة تُعَبِّر عن إعجابها بالكلام.
- الرَّجل إجماليٌّ ينظر إلى الكلِّ وقليلاً ما يهتم بالجزء، والمرأة تنظر إلى الكلِّ والجزء ولذا تسرد التَّفاصيل.
- يتردَّد في كلام الرَّجل الأجوبة المغلقة: (نعم-لا)، والمرأة يتردَّد في كلامها الأجوبة المفتوحة: في السَّاعة السَّابعة والنِّصف وخمس دقائق، وبينما كنت أُعيد ترتيب المنزل رنَّ الهاتف وحدث كيت وكيت...
- الرَّجلُ الكلامُ عنده وسيلةٌ للوصول إلى هدفٍ محدَّدٍ، والمرأة كلامها بوسيلةٍ للتَّواصل وحَسْب.

قدرة الرَّجل الكلاميَّة تساوي ثلث قدرة المرأة.

الفتيات يبدأن بالكلام قبل الصِّبيان، وحتَّى سِن الخمس سنواتٍ تتفوَّق الفتيات بعدد الكلمات على الذُّكور، واضطرابات النُّطق عند الصِّبيان أكثر منها عند البنات.

علماً أنَّ هذه الأحكام أغلبيةٌ، ومرادي من عرضها أن يُراعي كلُّ زوجٍ زوجته، وأن تعْذُرَ كلُّ زوجةٍ زوجها.

**ختاماً:**

ما أسباب صمت الأزواج، وكيف يمكن التَّخفيف منه؟

من هذه الأسباب:

**1)** رتابة الحياة الزَّوجية: وعلاجه بكسر الرُّوتين بإيجاد مفاجآتٍ جميلةٍ، أو تبديل ترتيب أثاث المنزل وتوزيع الغرف.

**2)** عدم احترام الزَّوجة لحديث زوجها: وعلاجه بتعلُّم أدب الاستماع واللَّباقة في الحديث، والابتعاد عن أسلوب الاستجواب.

3) اختلاف الاهتمامات بين الزَّوجين اختلافاً كبيراً: وعلاجه بحُسن اختيار الزَّوج زوجه، وعكسه، والسَّعي للاشتراك في نشاطاتٍ مختلفةٍ كحضور مجالس العلم معاً، ومتابعة بعض البرامج العلميَّة والاجتماعيَّة معاً، وحضور الدَّورات التَّدريبيَّة معاً.

4) قد يكون الصَّمت طبعاً في الزَّوج فهو قليل الكلام منذ طفولته، ونشأ في أسرةٍ لم تشجعه على التَّواصل اللَّفظي، فهذا يطول علاجه ويمكن تعزيز طُرُق تواصلٍ أخرى.

5) للذُّنوب شُؤْمٌ يدركه الصَّالحون، فربَّما أساءت امرأةٌ علاقتها بربِّها فلقيت عقوبتها بعلاقتها مع زوجها، كانت السَّيدة أسماء بنت أبي بكر الصِّديق رضي الله عنهما تُصدَع فتضع يدها على رأسها وتقول:

(ذنوبي... وما يغفر الله أكبر)، وينفع في العلاج أن يُراجع المرء نفسه ويُقلع عن ذنبه ويُكثر الاستغفار والدُّعاء، قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: «**مَن لزِمَ الاستغفارُ جعلَ اللهُ لَهُ من كل ضِيقٍ مَخرَجاً، وَمِنْ كُلِّ هَمٍّ فرَجاً، ورزَقَهُ من حيث لا يَحْتَسِبُ**» [رواه أبو داود].

**أيها الإخوة:**

الصَّمت بين الأزواج خطأٌ وعلاجه ببذل الجهد لتعزيز الحوار، ولكي نعزِّز الحوار بين الزَّوجين علينا أمران:

**أوَّلاً**: على الزَّوج أن يتفهَّم حاجة الزَّوجة للكلام، ويستوعب حاجتها لأُذنٍ صاغيةٍ.

**ثانياً**: على الزَّوجة أن لا تضغط على زوجها ليتكلَّم حين تجده غير مستعدٍ للحديث، وأن لا تسيء تفسير موقفه هذا.

نسأل الله أن يعيننا على تصحيح أقوالنا وأفعالنا حتَّى يعجل لنا بالفرج

والحمد لله رب العالمين